

# الروابط العائلية في المناطق الآمنة خلال الصراع: طرطوس مثلاً

سليمان حيدر

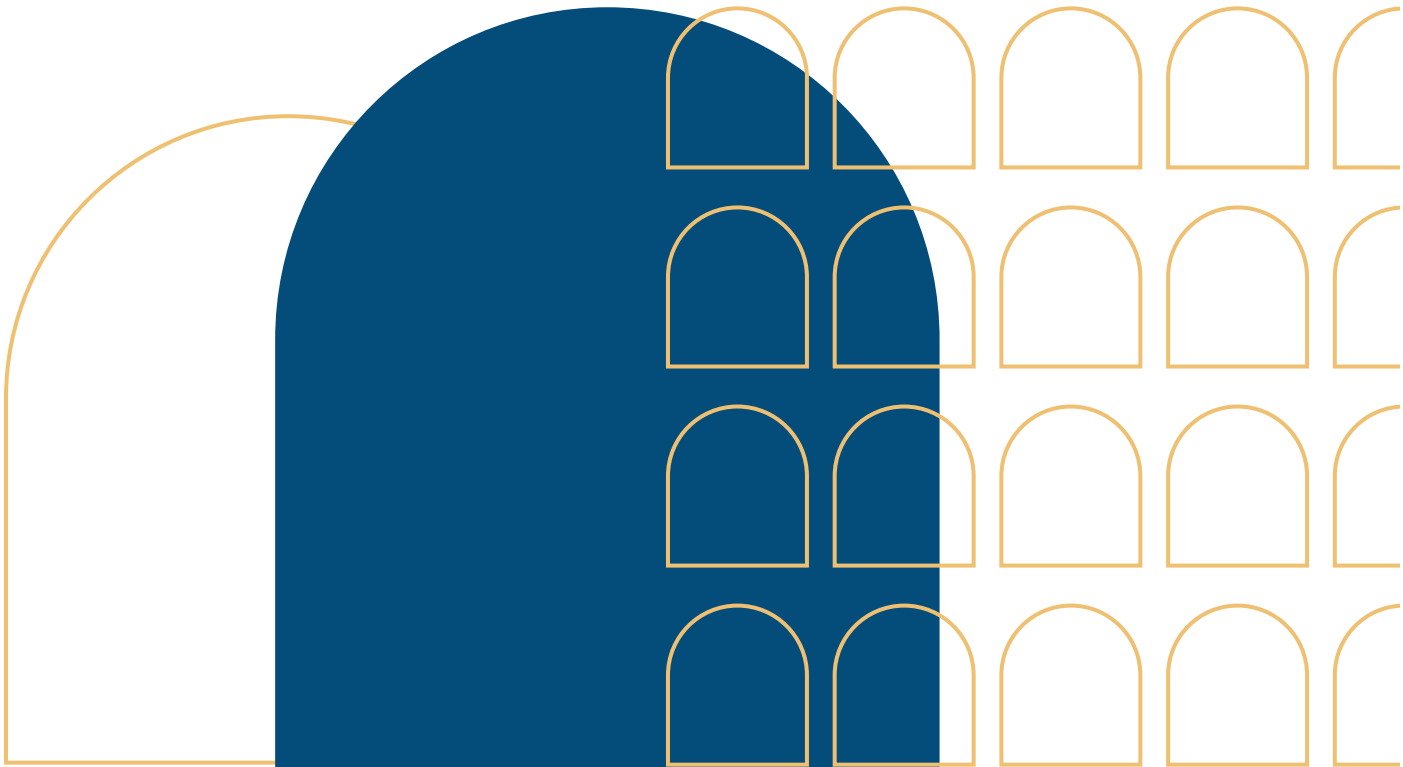
تقرير مشروع بحثي

زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا  
١٢ أيار ٢٠٢٢

Wartime and Post-Conflict in Syria (WPCS)

WPCS is a project of the Middle East Directions

Programme (MED), part of the Robert Schuman Centre, EUI.



الروابط العائلية في المناطق الأمنة خلال الصراع: طرطوس مثلاً

سليمان حيدر

التاريخ: الخميس، ١٢ أيار ٢٠٢٢

تولى ياسر الزياد تحرير هذه الورقة.

منشوراتنا هي جزء من مشروع "زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا" الذي يموله الاتحاد الأوروبي، وهو مشروع بحثي في برنامج "مسارات الشرق الأوسط" ضمن مركز روبرت شومان للدراسات العليا بالجامعة الأوروبية بفلورنسا. يقدم مشروع "زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا" تحليلات عملية واستراتيجية للأفاق، والتحديات، والتوجهات، وخيارات السياسة العامة في زمن الحرب، وفي إطار التحضير لمرحلة ما بعد الصراع في سوريا.

إن محتوى منشورات المشروع هو من مسؤولية المؤلفين حصراً.

يمكن تنزيل هذا النص لأغراض البحث الشخصية فقط. إن أي استنساخ إضافي لأغراض أخرى، سواء على شكل نسخ مطبوعة أم إلكترونية، يتطلب موافقة المؤلفين. أما في حال الاستشهاد بالنص أو اقتباسه، فيجب الإشارة إلى الأسماء الكاملة للمؤلفين والمحررين، إضافة إلى العنوان، والسنة التي نُشر فيها، والناشر.



Funded by  
the European Union

This publication was produced with the financial support of the European Union. Its contents are the sole responsibility of the author and do not necessarily reflect the views of the European Union.

# الروابط العائلية في المناطق الآمنة خلال الصراع: طرطوس مثالاً

سليمان حيدر\*

---

\* باحث مساهم في مشروع زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا في معهد الجامعة الأوروبية في فلورنسا، يركز على الاقتصاد السياسي والتحولات الاجتماعية-السياسية في سوريا.

## الفهرس

١	ملخص تنفيذي
٢	مقدمة
٣	الجزء الأول: طرطوس: التعبئة والتحويلات
٦	الجزء الثاني: الأوقاف إرث العائلة وسلطانها: آل السيد
٨	الجزء الثالث: وجهاء في محلياتهم: آل رسلان
١٠	الجزء الرابع: السر في الاقتصاد: صعود عائلة حسن
١٣	خاتمة

## ملخص تنفيذي

نشّطت الحرب السياسة المحلية في طرطوس، إحدى القواعد الموالية للنظام وجزيرة الاستقرار كما توصف، حيث أوجدت بيئة سياسية وأمنية جلبت معها لاعبين جددًا، إلى جانب اللاعبين القائمين. وكانت الروابط العائلية لهؤلاء مرنة باستجابتها لديناميات الحرب ومتطلباتها محلياً ومركزياً. كان لذلك انعكاسات في هياكل السلطة المحلية، والتي أصبحت عملية تشكيلها أكثر محلية وتعقيداً مما كانت عليه قبل الحرب.

تتشترك عوائل السيد ورسلان وحسن بأن لها مكانة دينية ومجتمعية في محليّاتهم، إلى جانب صلاتها مع نظام الأسد، وكان لقراباتهم العائلية أثر ملموس في تشكيل السياسات المحلية في المجالات الدينية والإغاثية واقتصاد الحرب، ليحافظ آل السيد على زعامتهم الدينية باحتكارهم الأوقاف، وآل رسلان على وجاهتهم المحلية بفعل مناصب أبنائها ورأسمالهم الاقتصادي، وعائلة حسن الصاعدة على موقعها في الاقتصاد المحلي، والذي تنشّط بانخراط أبنائها في اقتصاد الحرب.

ضمّنت العوائل لنفسها مكانة في المنظومة الاجتماعية-السياسية لمرحلة ما بعد الحرب، وكان من شأن ذلك أن وطّد سلطتها محلياً، وعزّز دورها كوسيط لأي قوة خارجية. ورغم ذلك، لا بدّ من الحذر في تقدير قوتها، فهي، من جهة، لم تبلغ مقاماً يمكنها من تحدي ترتيبات السياسة المحلية غير الرسمية المقرّرة مركزياً، والقائمة على توازنات معينة، ومن جهة أخرى، ما يزال النظام قادراً على احتوائها.

تشكل العائلة وامتداداتها، العشيرة والقبيلة القائمة على روابط الدم والمصاهرة، وحدات الحياة الأساسية في معظم المدن والبلدات السورية، فهي الملاذ الآمن لأفرادها وقت الشدة، وسبيلهم للوصول إلى الخدمات والموارد والمناصب. وهذا في دولة تُمارس فيها السلطة عبر قنوات وسيطة، تتشكل من خلال روابط عائلية وأصول مناطقية وعلاقات شخصية. بشكل عام، بالمقارنة مع المناطق الحضرية، كانت الروابط العائلية في المناطق الريفية أوضح وأكثر تماسكاً، حيث ينتشر زواج الأقارب بصورة أكبر، إلى جانب ميل العوائل للسكن على مقربة من بعضها، هذا وتلعب الروابط العائلية دوراً مهماً في المنظومة الاجتماعية-السياسية محلياً.

كان للحرب السورية أثر بالغ على الروابط العائلية، ولم يقتصر الأمر فقط على المناطق التي كانت مسرحاً للعمليات العسكرية، بل تعداها إلى تلك التي بقيت آمنة خلال الصراع. ففي حين ضَعُفت الروابط العائلية في المناطق الساخنة، بحكم الدمار الذي طالها، وتشظي عوائلها بفعل موجات النزوح والهجرة، وانقسامها السياسي والأيدولوجي على بعضها، حيث شهدت المناطق الآمنة دينامية مغايرة، حيث ساهم تفاعل العوائل مع ديناميات الصراع المعقدة ومتطلباته في شدّ أزر الروابط العائلية، وهو ما انعكس في السياسات المحلية.

تعتبر مناطق طرطوس مثلاً جديراً بالدراسة، فهي تعكس ديناميكية الروابط العائلية في المناطق الآمنة؛ كما تُعدّ إحدى القواعد الاجتماعية لنظام الأسد، والتي شهدت، وما تزال، عمليات تعبئة مدنية وعسكرية دفاعاً عنه وتأييداً له؛ فضلاً عن بقائها آمنة نسبياً على مرّ سنوات الحرب، لتكون قبلة لرجال الأعمال والتجار والصناعيين الباحثين عن الأمن لمزاولة أعمالهم؛ كما أنها، أخيراً، المحافظة التي ينحدر منها العديد من المسؤولين الرسميين الحكوميين، وأبرز أمراء الحرب الصاعدين.

تحاول هذه الورقة اختبار الفرضية التالية: أعادت الحرب تنشيط الروابط العائلية في مناطق طرطوس، ويُلاحظ ذلك في كل من العوائل التقليدية، وتلك التي وجدت فرصة لترقية مكانتها الاجتماعية أثناء الحرب، وهو ما انعكس في السياسة المحلية. سيكون لهذه الروابط دور مركزي في تشكيل الفضاء الاجتماعي-السياسي في مرحلة ما بعد الحرب في سوريا، وما سيتركه ذلك من أثر في ترسيخ البنية العائلية محلياً، والالتكاء عليها كقنوات غير رسمية في تفاعل النظام مع المجتمعات المحلية. ولاختبار الفرضية، تستعرض الورقة ثلاث عائلات كحالات دراسة، تنتمي كل منها إلى نطاق مكاني وخلفية اجتماعية ومجال تأثير متميز، قال السيد من سُنّة طرطوس المدينة، وفي عهدتهم أوقاف المدينة منذ أمد. وأما آل رسلان المنتشرة في منطقتي دريكيش وصافيتا، فهي من الوجهاء العلويين تاريخياً، وتنتمي إلى العشيرة التي ينحدر منها آل الأسد، ومنها برزت قيادات أمنية عليا ورجال أعمال كبار. وأما عائلة حسن، من بلدة برمانه المشايخ، فهي إحدى عوائل رجال الدين العلويين، والتي عززت مكانتها محلياً بواسطة أبنائها المنخرطين في اقتصاد الحرب.

اعتمدت هذه الورقة على بيانات نوعية جُمعت بين شهري تشرين الأول ٢٠٢١ وكانون الثاني ٢٠٢٢، عبر إجراء ١٨ مقابلة مع مصادر مقيمة في الساحل وخارج سوريا، بالإضافة إلى الصحف والمنتديات الإلكترونية ومنشورات التواصل الاجتماعي ذات الصلة.

## الجزء الأول: طرطوس: التعبئة والتحويلات

على مرّ الصراع، بقيت طرطوس آمنة لتكون مقصداً للوافدين وقبلةً لمجتمع الأعمال، في الوقت الذي شهدت فيه تجنيداً للمقاتلين استجابة لاحتياجات المعارك التي يخوضها النظام في معظم الأراضي السورية. نشطت الحرب السياسية المحلية في الساحل السوري، لكنها أيضاً خلقت ضغطاً على كل من المجتمع المحلي ونظام الأسد.

ضاعفت موجات النزوح عدد سكان المحافظة بنحو ٥٠ بالمئة خلال عام ٢٠١٤،<sup>١</sup> وقد استقر الوافدون في مناطق مختلفة تبعاً لروابطهم الاجتماعية وأوضاعهم الاقتصادية. على سبيل المثال، انضمت عدة عوائل فقيرة نازحة من حلب وإدلب إلى أقاربهم العاملين في الزراعة في منطقتي الخراب ووادي بكرة، لتكون منطقة شاليهات بصيرة خيار ذوي الدخل المتوسط، ولم يكن هؤلاء معروفين لمجتمع طرطوس قبل الصراع. كذلك، عاد موظفو الدولة العلويون من أبناء طرطوس إلى بلداتهم وقراهم، بعد أن حصلوا على غطاء قانوني يتيح لهم النقل المؤقت لمركز عملهم الوظيفي،<sup>٢</sup> ليساهم ذلك في إعادة إنتاج وتقوية الروابط العائلية عبر لم شمل العوائل بعد تشتتها مكانياً. منذ نهاية عام ٢٠١٦، عاد الجزء الأكبر من النازحين إلى مناطقهم، لنتهي محافظة طرطوس بذلك ملف مراكز الإيواء لديها في تشرين الأول ٢٠٢١،<sup>٣</sup> مع بقاء بعض الوافدين ممن تقطعت بهم سبل العودة.

نقل العديد من التجار والصناعيين أعمالهم إلى طرطوس. فبين عامي ٢٠١١-٢٠١٦، مثلاً، استقبلت المحافظة ٣٧ منشأة وافدة من خارجها،<sup>٤</sup> واضطرت الأعمال الوافدة إلى التكيف مع جو المدينة ونمط علاقاتها الاجتماعية. لم يلق نمط المقاهي الحديثة رواجاً في طرطوس، مما اضطر صاحب الاستثمار إلى مواعته مع ذوق الزبائن المحليين. ولعل ذلك دفع البعض إلى الاستنتاج بأن تحوّل طرطوس إلى مركز اقتصادي وتجاري إقليمي كاللاذقية ما زال في مرحلة مبكرة.<sup>٥</sup>

قبل الصراع، كان النظام يسيطر على السياسة المحلية، وذلك عبر اعتماد وسطاء في المسائل المتعلقة بالأمن والخدمات والتجارة والاقتصاد المحلي. كان من أبرز هؤلاء الوسطاء عبد الحليم خدام، من بانياس، والذي شغل عدة مناصب أبرزها نائب الرئيس بين عامي ١٩٨٤-٢٠٠٤. بعد اندلاع الصراع، اضطر النظام إلى توسيع شبكته من الوسطاء المحليين في مناطق سيطرته،<sup>٦</sup> وذلك لمساعدته في التصدي للديناميات المتغيرة للصراع، وفي مقدمتها احتياجات وشكاوى المجتمع العلوي المعبأ للقتال، إلى جانب التواصل مع السنتّة في المحافظة مع توتر الجو الطائفي فيها.<sup>٧</sup>

اعتمد النظام أفراداً منتقنين بعناية لمساعدته في عمليات تعبئة العلويين في طرطوس. وقد سهلت روابط هؤلاء الاجتماعية، وشبكة علاقاتهم الشخصية، تشكيل مجموعات قتال محلية رُجّح بها لاحقاً بمعارك في عموم سوريا.

- ١ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "سوريا: تزايد احتياجات الأسر التي نزحت إلى المدن الساحلية"، ١١ تموز ٢٠١٤، <https://bit.ly/3reBijm>
- ٢ "في عام ٢٠١٢، بناء على تعميمات وزارية ناظمة لتحديد مركز العمل، قمت بتحديد مركز عملي في طرطوس عوضاً عن دمشق، كذلك فعل أقراني من بقية الوزارات ليزيد عدد سكان قرينتي في ريف صافيتا بنحو ٢٠ بالمئة في تلك الفترة". مقابلة مع موظف حكومي من طرطوس. ١٥ تشرين الثاني ٢٠٢١.
- ٣ رنا الحمدان، "طرطوس أول محافظة تنهي ملف الإيواء بالكامل"، صحيفة الوحدة، ٢٤ تشرين الأول ٢٠٢١، <https://bit.ly/3IHjyPA>
- ٤ الاقتصادي، "أكثر من ٣٥ منشأة صناعية تنقل نشاطها إلى طرطوس خلال الأزمة"، ٧ شباط ٢٠١٧، <https://bit.ly/3o6OSDw>
- ٥ خضر خضور، "طرطوس في الأزمة الحالية: مرآة النظام السوري" (بالإنكليزية)، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ١٣ نيسان ٢٠١٤، <https://bit.ly/3IEUY5y>
- ٦ خضر خضور، "الحروب المحلية وفرص السلام اللامركزي في سورية"، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ٢٨ آذار ٢٠١٧، <https://bit.ly/37G9vRo>
- ٧ تبعاً لمصادر ميدانية غير رسمية، كانت نسبة العلويين في المحافظة قبل الصراع تقدر بنحو ٦٨ بالمئة، السنة ١٩ بالمئة، المسيحيين ٦ بالمئة، والإسماعيليين ٧ بالمئة.

يظهر ذلك في مثال فيصل حسن،<sup>٨</sup> وهو أحد مندوبي الحرس الجمهوري الذين أوكلت إليهم عمليات التجنيد وتوزيع السلاح على سكان القرى العلوية في بانياس. وظّف حسن شبكات ثقة من معارفه وأقاربه لتجنيد نحو ٢٠٠٠ مقاتل بحلول عام ٢٠١٣، ليصبح في صيف ٢٠١٦ قائداً للدفاع الوطني في طرطوس، بعد أن كانت قيادته مقتصرة على بانياس.<sup>٩</sup>

بحلول ربيع ٢٠١٧، فقدت المحافظة نحو ١٤,٥٠٠ إنسان من أبنائها بين قتل وجريح ومفقود،<sup>١٠</sup> لتلقب بـ"أم الشهداء". وقد شكلت مناسبات العزاء فرصة لتكثيف التواصل بين أبناء العائلة والشعور بوحدتها. في ظل تراجع موارد الدولة، وقصورها عن الاستجابة لمطالب أهالي القتلى والجرحى، تساهل النظام مع تأسيس جمعيات للاستجابة لشكاوى المجتمع العلوي. كانت معظم الجمعيات مبادرات من أفراد يتمتعون بعلاقة ما ببيروقراطية الدولة، أو بعلاقات غير رسمية مع النظام، أو بروابط عائلية ساهمت بفعالية في عمليات التعبئة المحلية.<sup>١١</sup> بين عامي ٢٠١٢-٢٠١٩، تم إنشاء ٨٧ جمعية جديدة في محافظة طرطوس، نحو ٦٧ بالمئة منها بين عامي ٢٠١٢-٢٠١٥، أي خلال ذروة المواجهات العسكرية.<sup>١٢</sup> من هذه الجمعيات مؤسسة الوفاء للشهداء في بلدة القدموس، وقد أسسها أحد السكان المحليين الذين تجمعهم علاقات مع الدفاع الوطني وأجهزة الأمن، وتم عبرها تقديم العديد من الخدمات الصحية والإغاثية والاجتماعية لعائلات القتلى والجرحى.<sup>١٣</sup>

في بانياس، تمحورت البنية الاجتماعية تاريخياً حول العوائل التجارية وصغار الملاك، الذين كانوا بمثابة منافذ للنظام تجاه سُنّة المدينة. وعقب انشقاق عبد الحليم خدام عام ٢٠٠٥، تصاعد وزن العوائل التي تتشابه مصالحها مع محسوبيات النظام الاقتصادية، كعائلي فحل وبياسي.<sup>١٤</sup> تعرضت عائلة بياسي للانتقام النظام مع انخراط العديد منهم في الحركة الاحتجاجية، حيث استنجد بعائلة وحوّذ التي ينحدر منها رجل الأعمال محمد علي وحوّذ.<sup>١٥</sup> ففي بداية الأحداث، جرى تعيين محمد عبد الله وحوّذ أميناً لشعبة الحزب في بانياس، ثم اختياره كعضو في مجلس الشعب لدورة الأعوام ٢٠١٢-٢٠١٦، إلى جانب الاعتماد عليه كأحد شخصيات المصالحات الوطنية في بانياس. وإلى جانب آخرين، ساهم محمد عبد الله وحوّذ في عودة التجار العلويين من "السوق الفوقاني" في قرية ابتلة، إلى سوق الهال المركزي في بانياس منذ عام ٢٠١٥.

خلال الحرب، كان للروابط العائلية في طرطوس دور هام في تشكيل هياكل السلطة محلياً. على الرغم من هول التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على المجتمع المحلي في طرطوس، إلا أن مرونة الروابط التقليدية - سواء المنحدرة من أصول إقطاعية مثل آل السيد، أو عوائل الوجهاء العلويين مثل آل رسلان، أو العوائل الصاعدة كعائلة حسن - أتاحت لها تشكيل الفضاء الاجتماعي-السياسي في مرحلة ما بعد الحرب. وقد كان لهذه القرابات أثر كبير في المجالات الدينية والأمنية والإغاثية واقتصاد الحرب التي شغلها.

<sup>٨</sup> فيصل حسن مهرب وقائد مجموعة محلية، يعود أصله إلى قرية بيت الشيخ علي في ريف بانياس، مقيم في حي القوز في مدينة بانياس، وترتبطه علاقات جيدة مع العميد في الحرس الجمهوري حسن خليل ابراهيم المنحدر من قرية خربة السناسل الملاصقة لحي القوز.

<sup>٩</sup> مقابلة سكايب مع أحد عناصر الدفاع الوطني من طرطوس، ٢٠ كانون الأول ٢٠٢١.

<sup>١٠</sup> دام برس، مكتب الشهداء في طرطوس: سجل لدى المحافظة ٧٩٨٦ شهيداً و٩٧٥ مفقوداً و٥٤٥٠ جريحاً، ٢٩ نيسان ٢٠١٧، <https://bit.ly/3Mml9kh>

<sup>١١</sup> خضر خضور، "الساحل في الصراع" (بالإنكليزية)، فريديتس إبيرت، تموز ٢٠١٦، <https://bit.ly/3D15d2R>

<sup>١٢</sup> إحصائية مصدرها أعداد الجريدة الرسمية السورية بين عامي ٢٠١١ و٢٠١٩.

<sup>١٣</sup> خضر خضور، المصدر السابق.

<sup>١٤</sup> تمكن رجل الأعمال النشط في مجال الشحن أحمد فحل من الوصول إلى مجلس الشعب لدورة ٢٠٠٧-٢٠١١.

<sup>١٥</sup> مع العدالة، بطاقة تعريفية عن رجل الأعمال محمد علي وحوّذ، <https://bit.ly/3K48EZf>



## الخريطة ١: محافظة طرطوس



المصدر: المؤلف

## الجزء الثاني: الأوقاف إرث العائلة وسلطانها: آل السيد

في مدينة طرطوس، تشغل العديد من العوائل السنية مكانة مركزية في هياكل السلطة محلياً، ولا سيما آل السيد الذين نجحوا في تعزيز زعامتهم الدينية خلال الصراع. فقد احتكرت الأوقاف كحق عائلي، وتمكنت من إزاحة منافسيها، فضلاً عن علاقتها الطيبة مع المجتمع العلوي، بالنظر إلى تحالفها مع النظام. وقد جعل ذلك كلمتهم نافذة في السياسة المحلية ما دامت ضمن الحدود المسموحة.

منذ نهاية الحقبة العثمانية، هيمن آل السيد ذوو الأصول الإقطاعية-التجارية<sup>١٦</sup> على منصب مدير أوقاف طرطوس، حيث تولى ستة من أبنائهم المنصب من أصل تسعة تعاقبوا عليه. أحدث هؤلاء هو عبد الله محمد عبد الستار السيد (منذ ٢٠١٩)، كما تولى اثنان من العائلة منصب وزير الأوقاف هما عبد الستار خير الدين السيد (١٩٧١-١٩٨٠)، وابنه محمد عبد الستار (منذ ٢٠٠٧).

للسيطرة على الأوقاف أهمية خاصة لآل السيد، فمن خلالها يؤكدون زعامتهم الدينية ومكانتهم المجتمعية بين أوساط سُنَّة طرطوس، وهي الزعامة التي خشيت العائلة عليها من منافسة رجال دين سنة ذوي علم شرعي. ولم تكن الظروف مواتية لحسم هذا التنافس قبل الصراع. وتعود جذور التنافس على الزعامة الدينية لسُنَّة طرطوس إلى عقود مضت، ففي الوقت الذي كان آل السيد قائمين على عدة جوامع في المدينة، أبرزها العمري (الساحة)، بنت عائلة منصور جامعاً في حي البرانية سُمِّي باسمها، ليشكل تهديداً لزعامة السيد الدينية، حيث وصفوه بـ"جامع الضرار". وقد توافد سُنَّة المدينة على الجامع الجديد، ولا سيما مع تولى الشيخ الأزهرى أحمد حمزة عبد الباقي إمامة الجامع، وهو المقرب من آل منصور كما يُتداول محلياً. وحالت مكانة الشيخ عبد الباقي الدينية والمجتمعية دون إزاحته قبل الصراع، لكن مع خروج مظاهرات انطلاقاً من جامع المنصور، وجد آل السيد فرصة مواتية للتحريض على الشيخ وتحجيمه حتى وفاته في أيار ٢٠١٥، وعضواً عن تعيين أحد أتباع الشيخ عبد الباقي، كما أوصى هو، إماماً لجامع المنصور، تم تعيين أحد موالى آل السيد.<sup>١٧</sup>

مع توسع ساحات الصراع، كان كل من نظام الأسد وآل السيد قلقين من تمدد النفوذ الإيراني في الساحل السوري، تحت غطاء رعاية مصالح الشيعة النازحين والمهجرين. وقامت مجموعات مرتبطة بإيران بالاستثمار في الجوامع والمبرات الخيرية غير الخاضعة لإدارة الأوقاف، والتي سُجِّلت ملكياتها باسم جمعيات خيرية،<sup>١٨</sup> بالإضافة لمؤسسات أخرى تحظى برعاية جمعية البستان الخيرية.<sup>١٩</sup> وقامت هذه المجموعات بتنفيذ أنشطة شيعية في بعض هذه المراكز، مثل دار الحجة للثقافة والتنمية الاجتماعية، المؤسسة عام ٢٠١٤ على يد الشيخ الشيعي محمد علي درويش.<sup>٢٠</sup> اتخذ نظام الأسد وآل السيد إجراءات للحد من هذا التمدد، حيث تأسس في كانون الثاني ٢٠١٦ الفريق الشبابي الديني برئاسة عبد الله السيد. وفي حين كان الهدف المعلن لهذا الفريق تقديم خطاب ديني معتدل، إلا أن المقصود على ما يبدو احتواء رجال الدين العلويين وغيرهم من الموالين لإيران، وذلك عبر ضمهم لهيئة تخضع لوزارة الأوقاف.<sup>٢١</sup>

١٦ عبد الله حنا، صور من حياة مجتمعات سورية القرن العشرين (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٩)، ص ٣٠٤.

١٧ مقابلة سكايب مع مصدر تحفظ عن ذكر اسمه لأسباب أمنية، ١٧ كانون الثاني ٢٠٢٢.

١٨ منشور فيسبوك، الصفحة الرسمية للجمعية الإسلامية الجعفرية، "رد الجمعية الإسلامية الجعفرية في صافيتا على طلب نقل مقر الجمعية والجامع لملكية وزارة الأوقاف"، آخر زيارة ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٢، <https://bit.ly/3HD90EN>

١٩ كان رامي مخلوف الرئيس الفخري للجمعية الإسلامية الجعفرية في طرطوس بحسب الشيخ عدنان عبود، رئيس الجمعية الإسلامية الجعفرية في طرطوس ومدير أعمال جمعية البستان في محافظة طرطوس. للمزيد: عبد العزيز محسن، "الشيخ عدنان عبود رئيس مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية بطرطوس: إجراء ٢٥٠ عملية جراحية للمرضى الفقراء منذ مطلع العام حتى الآن عن طريق الجمعية"، بانوراما سورية، ٢٠ آب ٢٠١٧، <https://bit.ly/3GAg6bV>

٢٠ منشور فيسبوك، الصفحة الرسمية للشيخ محمد علي درويش، "تتبع الدار إلى مجمع الرسول الأعظم في اللاذقية، لمحة عن سيرة الشيخ"، آخر زيارة ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٢، <https://bit.ly/3B8c2OS>

٢١ تم ضم الشيخ علي حسن رمضان الذي لديه صلات مع حزب الله، والشيخ العلوي ذو الفقار فضل غزال الذي كان والده مفتي منطقة اللاذقية. للمزيد: منشور فيسبوك، مديرية أوقاف حماة، أسماء المجلس المركزي الأول للفريق الشبابي الديني، آخر زيارة ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٢، <https://bit.ly/3HgBy71>

أما الإجراء الثاني فكان وضع الجمعيات الخيرية في المناطق العلوية، بالإضافة إلى المساجد المستقلة فعلياً - وإن كانت تتبع للأوقاف إدارياً - تحت سلطة الأوقاف،<sup>٢٢</sup> وضبط الأنشطة فيها.<sup>٢٣</sup> وقد حدث ذلك مع الجمعية الإسلامية الجعفرية في صافيتا، المرخصة منذ عام ١٩٧٤. وجاء القانون رقم ٣١ لعام ٢٠١٨ الناظم لوزارة الأوقاف بأحكام تعزز من هذه العملية.<sup>٢٤</sup> كانت النتيجة حيازة وزير الأوقاف وابنه على سلطة تعيين عدد من العلويين من خريجي كليات الشريعة خطباء ومشرفين على أماكن العبادة الدينية في مناطقهم، ومنحهم رواتب مالية وتضمينهم في منظومة التأمينات الاجتماعية،<sup>٢٥</sup> مع إلزامهم بحضور اجتماعات دورية في مديرية الأوقاف. وقد توسّط الوزير وابنه في تسوية وضع بعض الخطباء العلويين الذين أثّرت إشارات استفهام حول نشاطهم وولائهم، ما أدى إلى تعزيز مكانتهما في الوسط الديني للمحافظة.<sup>٢٦</sup>

في العقد الأخير، عزز آل السيد من خلال مديرية الأوقاف علاقتهم بالمجتمع العلوي، وذلك عبر طرح مبادرات خيرية وإصدار قرارات لصالحه. على سبيل المثال، خصصت الأوقاف عقارين لها لبناء دار الأمان بفرعيه الأول عام ٢٠١٧ والثاني عام ٢٠٢٢، وهو دار مختص بتقديم رعاية شاملة لنحو ١,٠٠٠ طالب وطالبة من ذوي الشهداء المنتسبين إلى الجيش والدفاع الوطني.<sup>٢٧</sup> كذلك وافقت الأوقاف على حل لقوننة تصرف مزارعين علويين بأراضي سهل عكار، والتي تعود ملكية بعضها للأوقاف، وذلك عبر تنظيم عقود تأجير لشاغلي العقارات مقابل بدل مادي رمزي.<sup>٢٨</sup>

بالإضافة لذلك، لعبت الروابط العائلية لدى آل السيد دوراً هاماً في تعزيز حضورهم في المشهد السياسي والاقتصادي في مناطق سيطرة نظام الأسد. على سبيل المثال، خلال عقدي الثمانينات والتسعينات، فتحت علاقة عبد الستار السيد بحافظ الأسد أبواب القصر الجمهوري لابنه البكر فواز، والذي نسج علاقات مع ضباط في القصر، تولوا تزكيته لشغل مناصب حكومية، فيما سهّل فواز لإخوته نسج علاقة مع هؤلاء الضباط ما مكّنهم بدورهم من شغل مناصب حكومية. فخير الدين السيد، مثلاً، تدرّج في مناصب عدة في قطاع الصحة بطرطوس، كان أبرزها مدير الصحة في ٢٠٠٠-٢٠١٣، ثم تولى منصب محافظ إدلب عام ٢٠١٤، ثم عضوية مجلس الشعب لدورة ٢٠١٦-٢٠٢٠ ورئاسة لجنة المصالحة الوطنية فيه، بالإضافة إلى عضوية اللجنة المركزية لحزب البعث منذ ٢٠١٧. هذه المناصب التي حظي بها خير الدين زادت نفوذ العائلة محلياً، حيث سمحت بتوظيف العديد من ذوي الشهداء في مديرية الصحة،<sup>٢٩</sup> إلى جانب استغلال هذه المناصب لمراكمة ثروة حسب بعض المصادر.<sup>٣٠</sup> ومن علامات هذه الثروة شراء عقارات في منطقة المرفأ بحسب مصادر محلية، وإطلاق مجموعة الخير-مطابخ زاد الخير عام ٢٠١٦، والتي قدمت الدعم للعديد من مبادرات الأوقاف، فضلاً عن تسويقها لمشاريع أبناء العائلة محلياً.<sup>٣١</sup> وفي آذار ٢٠١٤، دعم وزير الأوقاف

٢٢ هنالك ٢٢٧ جامعاً في محافظة طرطوس، تتوزع وفق الآتي: طرطوس والحמידية ٤٢، صافيتا ٦١، دريكيش ٢٣، شيخ بدر ٢١، القدموس ١٤، بانياس ١٣، ريف بانياس ٥٣. وزارة الأوقاف السورية، قائمة المساجد في محافظة طرطوس، <https://bit.ly/3rnzPHp>

٢٣ في آب ٢٠١٧، تم منع الدكتور علي الشعيبي من إلقاء محاضرة في جامع في بلدة دوير رسلان عن الشهادة والشهداء، بأمر من مديرية أوقاف طرطوس، بحجة عدم أخذ موافقتها.

٢٤ وكالة سانا للأخبار، الرئيس الأسد يصدر القانون رقم ٣١ الناظم لعمل وزارة الأوقاف، ١٢ تشرين الأول ٢٠١٨، <https://bit.ly/3APbhdK>

٢٥ بزنس ٢ بزنس، "في سورية.. راتب تقاعدي (للمشايع) من التأمينات الاجتماعية"، ٢٩ نيسان ٢٠١٩، <https://bit.ly/3ozbCfs>

٢٦ استدعي مكتب المتابعة في القصر الجمهوري في طرطوس عدداً من خطباء الجوامع في الريف العلوي إثر تقارير أمنية بحقهم، ليتم تسويتها بتدخل من مدير الأوقاف عبد الله السيد. مقابلة مع مصدر تحفظ عن ذكر اسمه لأسباب أمنية. ٢٠ كانون الأول ٢٠٢١.

٢٧ منشور فيسبوك، الصفحة الرسمية لدار الأمان، "مقابلة مع رواء علي مديرة الفرع الثاني لدار الأمان لأبناء الشهداء"، آخر زيارة ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٢، <https://bit.ly/3lr0vgp>

٢٨ فريق مراسلون، "عقارات مسجلة كأوقاف لبنانية... معاناة أبناء طرطوس تنتظر قرارات مركزية منذ عدة عقود!"، ١٧ كانون الثاني ٢٠١٨، <https://bit.ly/3K1v3Gg>

٢٩ وظف خير الدين السيد نحو ٢٥٠ شخص من ذوي الشهداء خلال عمله كمدير للصحة بين عامي ٢٠١١-٢٠١٣. سورية الإعلامية، "لقاء مع مسؤولة مكتب اسر الشهداء في محافظة طرطوس"، ٩ تموز ٢٠١٤، <https://bit.ly/3BYfVGK>

٣٠ زمان الوصل، "من طرطوس إلى إدلب.. سيرة ذاتية لمحافظ ولي الأديار أمام الثوار"، ٢ نيسان ٢٠١٥، <https://bit.ly/3lrz8Tr>

٣١ من أمثلة ذلك التسويق لمنتجات مستودعات السيد للأدوية ومواد التجميل، والعائدة ملكيته لمحمد فواز السيد ابن أخ كل من وزير الأوقاف وخير الدين السيد.

تولي الداعية القبيسية سلمى عياش،<sup>٣٢</sup> شقيقة زوج أخته، لمنصب معاون وزير الأوقاف،<sup>٣٣</sup> وبذلك عزز الوزير تحالفه مع القبيسيات، مسخراً إياهن لتعزيز مكانة العائلة محلياً ولدى القصر الجمهوري، ما سمح بتحصيل الدعم لبناء دار الأمان الأولى في طرطوس و عدة جوامع في المدينة.

أقرّ النظام لآل السيد بصلاحيّة انتقاء المرشح لمنصب رئيس مجلس مدينة طرطوس، السنّي كما جرى العرف، وكذلك اختيارها لمختار حيّ المينا والبرانية من أبنائها. وبذلك ضمنت العائلة مصالحها في المدينة، لاسيما في مناطق تمركزها. إلا أن نفوذ آل السيد لم يمكنهم من خرق القواعد المتبعة في شغل هياكل السلطة المحلية، القائمة على مراعاة التوازنات محلياً. فمثلاً، فشل وزير الأوقاف في فرض مرشحه محمود صقر (مدير فرع السورية للتجارة في طرطوس) لشغل منصب شاعر في المكتب التنفيذي لمحافظة طرطوس، عوضاً عن أكرم عبد الجليل الذي أصبح عضواً في مجلس الشعب لدورة ٢٠٢٠-٢٠٢٤، وذلك على إثر رفض عوائل سنية في المدينة لصقر، ليكون الحل اختيار ابراهيم أحمد محمد كمرشح تسوية.<sup>٣٤</sup>

واكبت العوائل التقليدية ذات الإرث التاريخي والمكانة المجتمعية في مدينة طرطوس ديناميات الحرب، وتقاطعت مصالحها مع متطلبات النظام في تعزيز نفوذها المحلي، إلا أن ذلك لم يكن حكراً عليها، بل تعداه إلى العوائل البارزة تاريخياً في الريف العلوي.

## الجزء الثالث: وجهاء في محلياتهم: آل رسلان

في ريف طرطوس، كان لعائلات الوجهاء العلويين دور بارز في مجتمعاتها، مثل آل رسلان الأغاوات، والتي برز منها شخصيات سياسية واقتصادية وعسكرية قبل الاستقلال وعقبه. خلال الصراع، تُرجمت روابط العائلة وعلاقاتها الشخصية في السياسة المحلية. وإلى جانب رأسمالهم الاقتصادي، وصلاتهم مع النظام، ساعد تيؤؤ أبناء العائلة لمناصب رفيعة في الحفاظ على وجاهتهم محلياً.

ينتمي آل رسلان إلى عشيرة الكلبيّة،<sup>٣٥</sup> وهي العشيرة ذاتها التي ينتمي إليها آل الأسد، مكتسبين لقبهم من جدّهم الشيخ رسلان بن علان الزيدانية.<sup>٣٦</sup> وقد أدت سلسلة أحداث تاريخية ودوافع اقتصادية وعلاقات مصاهرة إلى انتشارهم في منطقتي صافيتا ودريكيش. فمذ القرن الثامن عشر في صافيتا، شكّل نظام الالتزام القائم على الحلة (المؤلفة من مجموعة من البيوت أو قرية صغيرة)<sup>٣٧</sup> أساس صعود العائلة، لتعرفهم سجلات محكمة طرابلس كجماعة مهيمنة في صافيتا،<sup>٣٨</sup> وتمنح السلطنة العثمانية أبناءهم لقب "الأغا" في القرن التاسع عشر. بقيت زعامة عائلة رسلان (وهي فرع من آل رسلان) قائمة حتى بدايات عهد الاستقلال، إذ كان منهم نواب عن منطقة صافيتا، مثل محمد أمين رسلان الذي ترشّح لمجلس النيابي عام ١٩٥٤. وخلال القرن العشرين، بدأ فرع ملحم من العائلة بالصعود مع انخراط أبنائه في الجيش وتبوؤهم مناصب رفيعة، مثل اللواء محمد عبد العزيز ملحم، صديق حافظ الأسد ورئيس هيئة مدارس

٣٢ القبيسيات جماعة دينية إسلامية دعوية نخوية نسوية، مؤسسها منيرة القبيسي، لها انتشار في سورية وخارجها.

٣٣ سيريا لايف، "سلمى عياش المرأة الأولى في سورية بمنصب معاون وزير"، ١٨ آذار ٢٠١٤، <https://bit.ly/34vldwT>

٣٤ منشور فيسبوك، صفحة مجلس محافظة طرطوس، "الدورة العادية السادسة لمجلس محافظة طرطوس"، آخر زيارة ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٢، <https://bit.ly/34eywBO>

٣٥ التاريخ السوري المعاصر، "التقسيمات العشائرية العلوية في سورية"، <https://bit.ly/3HvFz7C>. من أبرز فروع العائلة: رسلان، ملحم، إسماعيل، سليمان، علي، عثمان، شاهين، الأسد، خضر.

٣٦ منشور فيسبوك، نادي جنينة رسلان، مقتطفات من كتاب تاريخ صافيتا في العهد العثماني للكاتب لمنير عبد الحميد صقر، آخر زيارة ٢ شباط ٢٠٢٢، <https://bit.ly/3gFLX0x>

٣٧ الالتزام كان طريقة جباية الضرائب لدى الدولة العثمانية. يوظف حق جمع الضرائب إلى أشخاص يسمون مقاطعية أو ملتزمين، مقابل أن يدفعوا مسبقاً مبلغاً من المال عن المنطقة التي خضعت لهم، وبموجب ذلك يتسلم من السلطة العثمانية صكاً يخوله جباية الضرائب في هذه المنطقة.

٣٨ ستيفان وينتر، تاريخ العلويين من حلب القرون الوسطى إلى الجمهورية التركية (اسطنبول، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، ط ١ ٢٠١٨، ترجمة باسل وطفة وأحمد نظير الأتاسي)، ص ٢٢٩ و ٢٣٥.

أبناء الشهداء في ١٩٧٧-١٩٩٤. كذلك برز فرع بيت الأسد، ومنهم ينحدر رجل الأعمال نزار جميل الأسد، الذي نال حظوة وامتيازات اقتصادية بعد زواج محمد مخلوف (شقيق زوجة حافظ الأسد) من غادة مهنا (قريبة والددة نزار الأسد).<sup>٣٩</sup>

خلال الصراع، دعم آل رسلان بفروعهم نظام بشار الأسد في مواجهة الحراك الشعبي. فعلى المستوى الاقتصادي، سهّل نزار الأسد الملقب بـ"زعيم البترول"، توريد معدات ضرورية لصيانة منشآت نفطية،<sup>٤٠</sup> وهي خدمات نوعية شكلت متنفساً للنظام الخاضع للعقوبات الغربية. كما واصل الأسد تقديم مساعدات مالية وإغاثية في منطقته دريكيش،<sup>٤١</sup> وبذلك ضمن للنظام الاستجابة لاحتياجات قاعدته الاجتماعية في تلك المنطقة. كذلك تولّت ندى الأسد، ابنة نزار المقربة من أسماء الأسد،<sup>٤٢</sup> تمويل مبادرات خيرية مثل مركز زرع الخلايا الجذعية الدموية والمعالجة الخلوية للأطفال عام ٢٠٢١.

إلى ذلك، تولى ضباط من عائلتي ملحم وإسماعيل في المؤسستين الأمنية والعسكرية مهام ميدانية أثناء الصراع. ونظراً للثقة التي نسجها بعضهم مع آل الأسد،<sup>٤٣</sup> إلى جانب علاقتهم الطيبة مع ابن طرطوس اللواء وجيه العبد الله، مدير المكتب العسكري الخاص لبشار الأسد،<sup>٤٤</sup> تم تعيين اللواءين كفاح ملحم وغسان إسماعيل (الذين تجمعهما قرابة)<sup>٤٥</sup> على رأس جهازَي الأمن العسكري والمخابرات الجوية منذ عام ٢٠١٩. تزامن هذا التعيين مع نشوب الخلاف بين رامي مخلوف وبشار الأسد، حيث جاء اختيارهما لضبط كلا الجهازين وتنظيفهما من موالى مخلوف.

انعكست هذه الظاهرة في مجال الجمعيات، حيث تولى العميد عبد السلام سليمان منصب رئيس فرع مؤسسة العرين في طرطوس في صيف ٢٠٢٠، وهي المؤسسة التي تشكلت على أنقاض جمعية البستان الخيرية التي كان يرأسها رامي مخلوف. ونظراً لأهمية المؤسسة الجديدة في تفكيك شبكات مخلوف في طرطوس،<sup>٤٦</sup> وبالنظر لارتباطها بالقصر الجمهوري مباشرة، فإن عبد السلام سليمان لم يكن ليتولى رئاسة فرعها لولا تزكيته أمنياً من اللواء غسان إسماعيل. وينتمي كلا الرجلين إلى آل رسلان، كما تجمعهما علاقات شخصية نسجها أثناء خدمتهما في المؤسسة الأمنية. عبر تولّي هذه المناصب، ضمن كل من اللواء إسماعيل والعميد سليمان التحكم في تعيينات أعضاء اللجان الفرعية المسؤولة عن رفع القوائم المستحقة للدعم، وكذلك تحديد نسب الدعم المخصصة للمناطق، وبالتالي بناء شبكات محسوبيات يستثمرانها في تعزيز مكانتهما محلياً. أما ندى الأسد، فقد استثمرت علاقتها مع أسماء الأسد لدعم تولي صديقتها وابنة بلدتها دارين (ابنة العميد سليمان) منصب رئيس الاتحاد الوطني لطلبة سوريا في صيف ٢٠٢٠. كما دعم اللواءان إسماعيل وملحم عامر رسلان في افتتاح مكتب "استقطاب مغاوير سوريا" في منطقة المينا بطرطوس، الخاضعة لنفوذ آل السيد، حيث جرت تسوية أوضاع المتخفين والفارين من الخدمة العسكرية، وتعبئة مقاتلين لصالح الفيلق الخامس، بالإضافة لتجنيد قسم من المقاتلين لحماية استثمارات نزار الأسد في الجزائر.<sup>٤٧</sup>

٣٩ عين المدينة، "نزار الأسد من سنوات الجوع إلى الشبع"، ٢٢ تموز ٢٠١٨، <https://bit.ly/3Mgtoym>

٤٠ اقتصاد، "فضيحة إصلاح مصفاة بانياس"، ٣ تشرين الثاني ٢٠٢٠، <https://bit.ly/3smjwtl>

٤١ منشور فيسبوك، الصفحة الرسمية لقرية تلخة، تقديم مساعدات من نزار الأسد إلى أهالي قرية جبل تلخة في دريكيش، آخر زيارة ٣ آذار

٢٠٢٢، <https://bit.ly/3sFZDPT>

٤٢ شغلت ندى الأسد عضوية جمعية بسة لدعم الأطفال المصابين بالسرطان، فيما شغلت أختها ميا الأسد منصب رئيستها، وعن طريق هذه الجمعية توثقت علاقتها مع أسماء الأسد.

٤٣ خدم كفاح ملحم في الحرس الجمهوري تحت إمرة باسل الأسد، وتفيد مصادر بأنه كان ضابط الارتباط مع رئيس مجلس الوزراء محمود الزعبي. تلفزيون سوريا، "تعرف إلى اللواء كفاح ملحم الذي جدد له بشار الأسد رئاسة المخابرات العسكرية"، ٢٩ تشرين الثاني ٢٠٢١، <https://bit.ly/3shSYd1>

٤٤ في بداية ٢٠٢١، تم استبدال اللواء وجيه العبد الله باللواء طلال مخلوف كمدير للمكتب العسكري الخاص لبشار الأسد.

٤٥ اللواء كفاح ملحم متزوج من أخت اللواء غسان إسماعيل.

٤٦ استُبدل مسمى جمعية البستان بمؤسسة العرين الإنسانية في كل مراكزها بالساحل. ويتبع للمؤسسة شخص في كل بلدية يسمى عضو لجنة رئيسية، يعاونه ٣ أعضاء لجنة فرعية يحصلون على رواتب من العرين إلى جانب رواتبهم من البلدية، ويكون هؤلاء من البعثيين، ويتولون مهمة رفع قوائم لمؤسسة العرين، قبل أن يتم تعيينهم من قبل العميد عبد السلام سليمان.

٤٧ مقابلة مع مصدر رفض الكشف عن اسمه لأسباب أمنية، ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٢١.

واظب أبناء رسلان على لعب دور الوسيط بين مجتمعاتهم والنظام، مستفيدين من مناصبهم الرسمية، وجالبين المنافع لمناطقهم بما يعود على وجاهتهم محلياً. من أمثلة ذلك قيام اللواء غسان إسماعيل وشقيقه سامر، القاضي في محكمة الإرهاب، بتأمين عدد من الخدمات لبلدتهما جنينة رسلان،<sup>٤٨</sup> مع حرصهما على زيارة البلدة بشكل دوري ولقاء أهاليها ورجال دينها وتلبية طلباتهم، بما يفسر الشعبية التي يحظيان بها.

كان للشخصيات البارزة من فروع آل رسلان كلمة حاسمة في تسمية وانتقاء المسؤولين في محلياتهم. والملحوظ اللجوء إلى اختيار شخصيات من خارج العائلة، ربما بقصد توسيع شبكة التحالفات المحلية، أو استرضاء عائلات أخرى للحيلولة دون حنقها. وأما التدخل فغالباً ما تم عبر آليات غير رسمية، تأخذ صورة التوجيهات والأوامر الشفهية. في الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٢٠، مثلاً، توافق اللواءان غسان إسماعيل وكفاح ملحم على دعم ترشيح ابني بلدتهما سهيل سلام خضر ورائيا حسن لعضوية مجلس الشعب. وكانت من العوامل المساعدة لهما صلتها الوثيقة مع شبكات المحسوبة التابعة لأسماء الأسد.<sup>٤٩</sup> كذلك دعم نزار الأسعد ترشيح المهندس سامي سويدان على قوائم الوحدة الوطنية للانتخابات الإدارية المحلية عام ٢٠١٨، معطياً توجيهاته لاختياره كرئيس مجلس مدينة دريكيش، وذلك خلفاً لنسرين بدر المنتمية لعائلة وزير النقل السابق يعرب بدر (٢٠٠٦-٢٠١١)، والتي فقدت منصبها مع تراجع داعمها علي ندة، رجل الأعمال وعضو مجلس الشعب الأسبق (٢٠١٢-٢٠١٦). في المقابل، لم يكن التوافق دوماً سيد الموقف بين أبناء العائلة في انتقاء المسؤولين المحليين. ففي نيسان ٢٠٢٠، تولى سمير علي أمين شعبة الحزب في دريكيش بدعم مباشر من اللواء ملحم، تقديراً للصدقة التي تجمع والده بوالد سمير، وقد أدت محاولة سمير التودد إلى اللواء إسماعيل بقصد تولي منصب أمين فرع الحزب في طرطوس إلى حنق اللواء ملحم وأمين الفرع محمد حبيب حسين، فتمت إزاحته من منصبه في تشرين الأول ٢٠٢١ وتعيين المحامي أحمد شوباصي بدلاً منه.

ساعدت العوائل البارزة في الريف العلوي النظام في عمليات التعبئة والحشد، وأقر لها بالمقابل بهوامش في السياسة المحلية. ورغم أن لهذه العوائل إرثاً لا يمكن تجاوزه، عمل النظام على توسعة شبكة وسطائه، وضم عوائل أخرى أكثر اعتماداً عليه إلى شبكاته غير الرسمية.

## الجزء الرابع: السر في الاقتصاد: صعود عائلة حسن

خلقت الحرب في سوريا بيئة سياسية وأمنية جلبت معها لاعبين محليين جدداً. في برمانه المشايخ، إحدى بلدات طرطوس، صعدت عائلة حسن من بين عوائل مشايخ العلويين، وذاع صيتها خارج منطقتها، وذلك بفعل موقعها في الاقتصاد المحلي، وتناميه عبر انخراط أبنائها في اقتصاد الحرب. ومع صعودها راحت العائلة تشد أزر روابطها البيئية، وتعزز من قواعدها المحلية، وتقوى تحالفها مع النظام.

خلال الحرب، ظهر التاجر المحلي المهندس حامد حسن كأحد أبرز أمراء الحرب العاملين مع الفرقة الرابعة. ينتمي حامد إلى عائلة ذات مكانة مجتمعية واقتصادية محلياً، فوالده الضابط المتقاعد مثنى حسن كان يخدم في القصر الجمهوري كأحد مسؤولي حماية ماهر الأسد، وكان أيضاً أحد شيوخ البلدة، وجده كان الشيخ حسن إبراهيم حسن، ابن الشيخ إبراهيم علي حسن، وكانت والدته مرايا وقاف تنتمي إلى عائلة مشايخ أيضاً.<sup>٥٠</sup> وبينما أدى تحديث الاقتصاد والمجتمع السوري إلى تقليص دور رجال الدين العلويين في مجتمعاتهم،<sup>٥١</sup> أدت الحرب إلى تنشيط دورهم

<sup>٤٨</sup> منشور فيسبوك، صفحة نادي جنينة رسلان، معالجة أزمة المياه في بلدة جنينة رسلان بتدخل من اللواء غسان إسماعيل وأخيه القاضي سامر، آخر زيارة ٢ شباط ٢٠٢٢، <https://bit.ly/32YKf6X>

<sup>٤٩</sup> تولى سهيل سلام خضر رئاسة فرع الهلال الأحمر في محافظة طرطوس ٢٠١٣-٢٠١٩، ثم عمل في مؤسسة العرين الإنسانية، أما رائيا الحسن فكان له دور في مبادرات رعاية الجرحى والشهداء. للمزيد: زياد عواد وأغنيس فافيه، "انتخابات مجلس الشعب السوري ٢٠٢٠: نحو انكماش القاعدة الاجتماعية للنظام" (فلورنسا، معهد الجامعة الأوروبية. تشرين الأول ٢٠٢٠)، <https://bit.ly/3sdZMs4>

<sup>٥٠</sup> والدها الشيخ العلامة حامد وقاف، وجدها الشيخ يوسف وقاف.

<sup>٥١</sup> كان بيت الشيخ في جوهره مدرسة، ومكتب تسجيل، ومستشفى، وخدمة استشارية روحية ونفسية، ودار محكمة. في المقابل، يحصل الشيخ على الصدقة بدلاً من أي دخل أو راتب رسمي. ليون ت. غولدسميث، شيوخ الدين العلويون، جامعة جورج تاون قطر، ٢٠١٨.

عبر تحويل بيوتهم إلى مراكز لتقديم الدعم المجتمعي لعوائل القتلى والجرحى، وإتاحة المجال للقاء فيما بينهم وتبادل قصصهم، فضلاً عن دورهم في تعبئة الشباب العلوي للقتال، مساهمين بذلك في شد أزر روابط التضامن المجتمعي بين العلويين داخل مجتمعاتهم.<sup>٥٢</sup>

قبل الصراع، عمل حامد كتاجر تبغ، حيث كانت بلدته تحتل المرتبة الثانية في إنتاج التبغ في محافظة طرطوس بعد القدموس، بمحصول بلغ ٨٣٧,٥٥٤ طن عام ٢٠٠٨.<sup>٥٣</sup> كان حامد مسؤولاً عن جمع التبغ الفائض من المزارعين، وتسويق قسم منه محلياً وتهريب الجزء الأكبر إلى السوق اللبنانية، وهو العمل الذي سيفتح له أفقاً للارتقاء بعد اندلاع الصراع.

عن طريق عائلته، وقرابة زوجته غير المباشرة مع اللواء إسماعيل، حصل حامد على تزكية أمنية مكّنته من العمل مع الفرقة الرابعة،<sup>٥٤</sup> ليُطلق عليه اسم "الحجي" مع توليه الإشراف على متعهدي الترفيق والترسيم العاملين في المنطقة الممتدة بين الحدود اللبنانية وحلب. كذلك عمل حامد وأخوه الحسن مع أيمن جابر في تجارة التبغ،<sup>٥٥</sup> وذلك من خلال إدارة وكالة Pall Mall لتوزيع الدخان الأجنبي. ومنذ ٢٠١٧، تزايد نفوذ حامد إثر إزاحة جابر وتوليه وكالة شركة ١٩٧٠، فضلاً عن اعتماده كمُرافق لأسماء الأسد أثناء جولاتها الاستشفائية في ريف طرطوس بعد إصابتها بالسرطان،<sup>٥٦</sup> وتقديمها إلى رجال دين علويين في منطقة الشيخ بدر مثل سليمان ميهوب الدببيبة ومحمد غانم الصقلية.

عملت عائلة حامد على بناء شعبية تتجاوز برماعة المشايخ، وعلى ربط فئات من السكان بها اقتصادياً، وهو ما ساعدها على ترسيخ مكانتها في المنطقة. على سبيل المثال، كان الشيخ مثنى حسن، والد حامد والحسن، عضواً في مجلس إدارة جمعية الشهداء والجرحى والمخطوفين في برماعة المشايخ حتى وفاته عام ٢٠١٤، وبقي ولداه داعمين لهذه الجمعية. كذلك يقدم الأخوان بشكل دوري دعماً مالياً وسلاماً غذائية لعوائل الشهداء والمحتاجين في قرى وبلدات منطقة الشيخ بدر،<sup>٥٧</sup> إلى جانب تمويل مؤسسات محلية لتمكينها من تقديم خدماتها للسكان المحليين،<sup>٥٨</sup> فضلاً عن دعم مبادرات خيرية لرجال دين علويين في منطقة الشيخ بدر.<sup>٥٩</sup> كما افتتح أفراد عائلة مثنى الحسن عدداً من المشاريع الاقتصادية والخيرية، مثل مشغل المثنى للخياطة<sup>٦٠</sup> ومعمل ألبان وألبان الرويسات،<sup>٦١</sup> لتكون العائلة مسؤولة بشكل أو بآخر عن مئات فرص العمل لسكان المنطقة.

عززت القدرات المالية والمكانة المحلية لحامد حسن من قدرته على تعبئة سكان منطقته لدعم النظام. تجلّى ذلك بتكفله بمصاريف نقل المشاركين في المسيرات والتجمعات الانتخابية أثناء الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٢١، وهو ما يفسر مستويات التعبئة المرتفعة في منطقة الشيخ بدر خلال تلك الانتخابات.<sup>٦٢</sup> كذلك عمل حامد بواسطة أقاربه على تسوية

<sup>٥٢</sup> خضر خضور، "طرطوس في الأزمة الحالية..."، مصدر سابق.

<sup>٥٣</sup> إسماعيل خليل، "برماعة المشايخ... مخدع الطبيعة ابنة الجبال"، *Esyria*، ١٦ أيلول ٢٠٠٩، <https://bit.ly/3urxbm0>

<sup>٥٤</sup> أيمن الدسوقي، "شبكة اقتصاد الفرقة الرابعة خلال الصراع السوري"، برنامج مسارات الشرق الأوسط، ١٣ كانون الثاني ٢٠٢٠، <https://bit.ly/3MHTQ3n>

<sup>٥٥</sup> بشار جابر، "هل هرب أيمن جابر من سوريا؟"، المدن، ١٥ أيلول ٢٠١٦، <https://bit.ly/3srXRk6>

<sup>٥٦</sup> عربي بوس، "طلباً للاستشفاء من سرطان الثدي المصابة به.. تفاصيل زيارة أسماء الأسد السرية لأضرحة ومقامات شيوخ علويين"، ١٥ آب ٢٠١٨، <https://bit.ly/3GpAdtm>

<sup>٥٧</sup> منشور فيسبوك، الصفحة الرسمية لقرية بشمعة من قرى برماعة المشايخ، شكر أهالي قرية بشمعة لحامد وأخيه الحسن على الدعم المقدم للقرية، آخر زيارة ٢٨ شباط ٢٠٢٢، <https://bit.ly/3vp7Lps>

<sup>٥٨</sup> منشور فيسبوك، صفحة فساد وزارة التجارة الداخلية، دعم مخبز برماعة المشايخ بعجانة بقيمة ١٢ مليون ليرة سورية، آخر زيارة ٢٨ شباط ٢٠٢٢، <https://bit.ly/3C2kwHK>

<sup>٥٩</sup> تجمع الشيخ سلمان ميهوب الدببيبة علاقة قوية مع حامد حسن، وقد قدم حامد دعماً مالياً لمبادرة الشيخ التي أطلقها في حزيران ٢٠٢٠، المتمثلة بتقديم مبالغ مالية لطلاب الجامعة والمعاهد في عدد من قرى طرطوس منها قرية الوردية.

<sup>٦٠</sup> فيديو يوتيوب، مشغل المثنى يؤمن فرص عمل لذوي الشهداء والجرحى في طرطوس، ١٩ آب ٢٠٢٠، <https://bit.ly/3BZ22YR>

<sup>٦١</sup> منشور فيسبوك، الصفحة الرسمية للمركز الإذاعي والتلفزيوني في طرطوس، مشروع معمل ألبان وأجبان في برماعة المشايخ في ريف الشيخ بدر، تاريخ الزيارة ٢٨ شباط ٢٠٢٢، <https://bit.ly/3lqESNo>

<sup>٦٢</sup> تشير مصادر إلى قيام حامد بدفع مبلغ ٧٠ مليون دولار في هذه الانتخابات، وقد عوض هذا المبلغ عبر رفع سعر منتجات التبغ عقب الانتخابات. تلفزيون سوريا، "لعبة الحيتان.. من المسؤول عن رفع أسعار الدخان في اللاذقية؟"، ٣١ تموز ٢٠٢١، <https://bit.ly/3B2LwGN>

وضع مقاتلي الدفاع الوطني من أبناء الشيخ بدر، وآخرين متخلفين عن الخدمة الاحتياطية، ليتم استقطابهم في مجموعات ترفيق وحراسة، تعمل بغطاء من "شركة المهام الخاصة للحماية والحراسة الأمنية" المرتبطة بالفرقة الرابعة.<sup>٦٣</sup>

فتح صعود حامد المجال لترقي عدد من أفراد عائلته بدعم منه. ويكتسي دعم الأقارب لشغل مناصب رسمية أهمية قصوى لدى العائلة، فهو يساعد على تقوية روابطها البيئية، وتوسيع شبكة محسوبياتها، إلى جانب رعاية مصالحها وتنميتها. عام ٢٠١٥، دعم حامد شقيق زوج عمته، الطبيب حسان حسن، لتولي إدارة مشفى الشهيد مازن إبراهيم في الشيخ بدر. ومع افتتاح مشفى الكندي في تموز ٢٠٢١، الذي يتولى الحسن حسن منصب نائب رئيس مجلس إدارته، أصبح للعائلة حضور في القطاع الصحي العام والخاص، في محافظة تعج بالجرحى ومصابي الحرب، لتؤمن من خلال هذا الحضور رعاية صحية لأقاربها والمقربين منها والعاملين معها.<sup>٦٤</sup> وبالنظر لاعتماد الاقتصاد المنطقة بشكل رئيسي على زراعة التبغ، تركّز اهتمام عائلة حسن على احتكار المناصب في مكاتب مديرية الزراعة ومؤسسة التبغ في برمانه المشايخ، أي منظومة الدعم والترخيص والتسويق، بما يضمن لها سطوتها على محصول التبغ والمزارعين العاملين فيه، وبالتالي قاعدتها الاقتصادية. وشغل اثنان من عائلة حسن منصب رئيس مكتب الزراعة في ناحية برمانه المشايخ، هما عدنان عيسى حسن (٢٠٠٩-٢٠١٩) والمهندس نزار يونس حسن منذ عام ٢٠١٩، كما يتولى نبيل حسن منصب مراقب مؤسسة التبغ في برمانه المشايخ منذ سنوات.<sup>٦٥</sup>

من جهة أخرى، دعم حامد زوج عمته العميد المتقاعد أحمد علي حسن في ترشّحه لمجلس الشعب عام ٢٠٢٠، ليصبح لبرمانه المشايخ ممثل لأول مرة منذ ٤٧ عاماً.<sup>٦٦</sup> ولعل ذلك الدعم كان استعراضاً للقوة من جانب حامد، ومحاولة لتأكيد أحقية آل حسن في تمثيل البلدة سياسياً بما يرسّخ مكانتها، إلى جانب ما يتيح المنصب من فرص لجلب منافع للعائلة والمنطقة. وانصبّ اهتمام العائلة على دعم مرشحها في مجلس محافظة طرطوس، كما حدث مع علياء محمود التي نالت بتزكية من حامد ودعم أخيها اللواء علي محمود الضابط في الفرقة الرابعة، رئاسة مجلس محافظة طرطوس، وهو منصب جرى العرف بأن يكون شاغله علوياً، وكما حدث مع اختيار المحامي سامر علي عضواً في مجلس المحافظة عام ٢٠١٨. تكتسي هذه التطورات أهمية رمزية، وتشير إلى المكانة الصاعدة للعائلة على صعيد المحافظة، فضلاً عما يتيح حضورها في المجلس من وصول إلى موارد، وتأثير في سياسات المحافظة بما يخدم مصالح أفراد العائلة. وعلى الرغم من غياب أدلة ملموسة حتى الآن، ثمة مؤشرات على أن العائلة حصلت على امتيازات بناء من مجلس المحافظة، ولا يبدو ذلك مستبعداً مع تأسيس حامد وأخيه شركة المثني للتجارة والتعهدات، والتي نفذت عدة مشاريع سكنية في طرطوس.

في المحصلة، ودون إغفال أهمية دعم النظام واعتماده على عائلة حامد كوسيط وجزء من شبكاته غير الرسمية، هناك ديناميتان يتوجب إبرازهما في تفسير صعود العائلة خلال الصراع. الأولى ذات بعد اقتصادي، تتصل بخُطْب النظام ودّ التجار المحليين منذ بدء الاحتجاجات، وضمهم إلى منظومته الاقتصادية، وهي ممارسة دأب عليها النظام منذ ما قبل الصراع، وواصل الاعتماد عليها ليس فقط في الساحل بل في مناطق أخرى أيضاً، ولا سيما في ظل تشطي الاقتصاد المركزي.<sup>٦٧</sup> أما الدينامية الثانية فتتعلق بأهمية الروابط العائلية في وصول الأفراد إلى موارد الدولة وخدماتها. يظهر ذلك في تشبيك النظام مع عوائل محلية تدين له بمكانتها، حيث يحاول بذلك التواصل مع قاعدته الموائية وتقوم هذه القاعدة بمواصلة دعمها للنظام. ورغم تنامي مظاهر الاستياء في بعض المناطق الموائية، من غير المرجح أن تتصاعد هذه المظاهر طالما بقيت في إطارها المحلي، وطالما بقيت قنوات النظام مع قاعدته الاجتماعية فعالة.

٦٣ منهل باريش، "الشركات الأمنية الخاصة في سوريا: وكلاء جُدد في خدمة النظام"، برنامج مسارات الشرق الأوسط، ٢٨ تموز ٢٠٢٠. <https://bit.ly/38E9X38>

٦٤ خلال أزمة كورونا، تم توجيه مشفى الكندي لاستقبال عدد من المصابين بكورونا ممن يعملون مع حامد في تجارة التبغ، في وقت كانت فيه المشافي العامة غير قادرة على استقبال أحد. مقابلة سكايب مع مصدر محلي في الساحل، ٣٠ تشرين الأول ٢٠٢١.

٦٥ تأتي أهمية منصب مراقب التبغ من كونه المسؤول المباشر عن منح رخص زراعة التبغ، ومراقبة المحصول بدءاً من مرحلة الزراعة إلى التسويق، إلى جانب مسؤوليته عن توزيع مستلزمات زراعة التبغ للفلاحين، وأحياناً يتولى شراء الفائض من محصول التبغ ويتولى بيعه لتجار محليين.

٦٦ نال أحمد علي حرفوش عضوية مجلس الشعب عن برمانه المشايخ في دورة ١٩٧٣-١٩٧٧.

٦٧ للمزيد: أيمن الدسوقي، "صعود التجار المحليين في سوريا"، في الوسيط المحليون في سوريا ما بعد ٢٠١١: التحول والاستمرارية، تحرير خضر خضور وكيفن مازور (بيروت، مؤسسة فريدريش إيبيرت، حزيران ٢٠١٩).



غيرت الحرب السورية السياسة المحلية في طرطوس، حيث نشطتها وزادتها تعقيداً. فبعد أن كان حضور النظام المركزي قوياً قبل بدء الصراع، برز دور عدد من العوائل التقليدية، ودخل لاعبون جدد مسرح السياسة المحلية. وما يجمع الفاعلين المحليين جميعاً صلاتهم مع النظام وامتلاكهم لرصيد مجتمعي سابق على الصراع. فعُلت بعض العائلات روابطها البيئية في سياق تكيفها مع ديناميات الصراع، وعملت على تمديد قراباتها العائلية في المحليات، واستثمرت بكل ما يتقاطع مع سياسات النظام بما يضمن لها موقِعاً في الفضاء الاجتماعي-السياسي في مرحلة ما بعد الحرب.

وعلى الرغم من تزايد حضور العوائل في السياسات المحلية، لا بد من توخي الحذر في تقييم قوتها الحقيقية. فهي لم ترقَ بعد إلى موقع يمكّنها من إعادة تشكيل الترتيبات التي أرساها النظام في شغل هياكل السلطة محلياً، وما يزال النظام يملك اليد العليا في تشكيل السياسة المحلية، أي إن الساحل لا يسير نحو أي شكل من أشكال اللامركزية بعد. والأصح أن هذه العوائل تكتسب دوراً أكبر في ضبط وتوجيه السياسات المحلية، فيما يسعى النظام النظام إلى احتوائها عبر الإقرار غير الرسمي بدورها في تحديد شاغلي المناصب المحلية.

إن مساعي الفاعلين الخارجيين للعب دور محلي مؤثر في طرطوس، وكذلك في عموم الساحل، مرهون بقدرتهم على إيجاد شركاء ينتمون إلى العوائل البارزة ويكونون وسطاءهم في المحليات، فهم الأقدر على لعب دور محلي عبر روابطهم العائلية. ويبدو أن عجز إيران عن مدّ شبكاتها في الساحل لا يعود إلى أسباب مذهبية فحسب. فلعل نجاح النظام في كسب ودّ تلك العوائل وضمها إلى شبكة وسطائه، حتى الآن على الأقل، قطع الطريق أمام محاولات التمدد نحو الساحل من قبل أي جهات خارجية.

تقرير مشروع بحثي

زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا  
١٢ أيار ٢٠٢٢

Wartime and Post-Conflict in Syria (WPCS)

doi:10.2870/344974

ISBN:978-92-9466-223-1

QM-05-22-155-AR-N



Publications Office  
of the European Union

